تقديـــم

بقلم: الأديب الإسلامي الكبير أحمد العناني

بسم الله الرحمن الرحيم

ها أنا، في عتمة الليل وبين يدي الفجر.. في أشرف ساعات المسلم، أطالع المؤلَّفَ الجديد.. ثانيَ مؤلَّفٍ بالعنوان الرائع (مع الله في جسم الإنسان) للأخ الأديب المؤمن والطبيب الإنسان (الدكتور عبد السلام المحسيري)، فأجد نفسي، في هذه المرة، مع عمل أعمق وأوسع وأشمل.

ما كدْتُ أمضي في قراءة هذا الكتاب حتى تألّقتْ في خاطري عجائب الخَلْق الإلهي، التي صوّرها القرآن العظيم، بعبارات وجيزة، كأنها السرحات الضخمة

المغـدقـة بفنـون الأثمار السائغة الجَنِيَّة. . معارض من حقـائق، لم يعـرفهـا العلم إلا بعـد تطور أدواته ونجاح مساعيه، بجهود ألوف العيون التي تقرّحتْ تحت أضواء المصابيح، في ليالي الجهد والسهد، لكي تجيء نتائجها وكأنما هي حواشٍ على متون القرآن، ومجرد تفاسير لمّا تُسْتَكْمَل بعد، لكلمات الرحمن الذي أنزل القرآن دافعاً للعلم والتجريب واستخدام العقول في كشف سنن الله والقـوانين التي أودعهـا في طبيعـة خلقه، مما لا تنتهي عجائبها، أبد الآبدين ولا دهر الداهرين!

* * *

لم يذهب (الدكتور عبد السلام المحسيري) بعيداً، هذه المرة، في رحلته، ولكنه حصر بحوثه ودوّن خلاصات تجاربه، في هذا الإنسان، وكيفية خلقه من بين الصلب والترائب، واستقراره في ظلمات الأرحام، وما يعرض له في رحلة الحمل، حتى يولد خلقاً سويّاً ورمزاً لقدرة الله مذهلاً صاعقاً سرمدياً!

إنها رحلة مع عناية الله بالنطفة، من حين خروجها من مستقـرها، إلى أن تتحول في مراحلها المذهلة إلى علقة فمضغة تستقر في الأرحام إلى أجل مسمى، يُنْشِزُ الله تعالى لها خلالها عظاماً يكسوها لحماً، ثم يودع فيها أسرار خلق مغيب، فتبارك الله أحسن الخالقين!

وتمضي الـرحلة، وكـأنهـا مجموعة أناشيد، يصف المؤلف عجـائب المكتشفـات العلمية في جهاز الحمل والـولادة، جزءاً جزءاً، ثم ينتهي إلى وصف المعجـزة، ويتساءل في لازمة النشيد:

ـ أهذا يمكن أن يكون صدفة؟! أي صدفة؟!

ثم يسعفـك بالآية القـرآنية، التي كان الكـلام كله تمهيداً، بين يديها، لجلاء معناها ﴿**لَوْ أَنْزَلنا هٰذا القُرآنَ علىٰ جَبَـلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُون**﴾ [الحشر: ٢١].

* * *

وأودّ أن أنوّه بالجهد الموفق، فيما عرض المؤلف في هذا الكتاب، من صور فوتوغرافية ملونة دقيقة لمراحل الخَلْق وتطور أمر المخلوق البشري، من بداية القصة المذهلة، إلى سداد الخَلْق ونضوج المعجزة بالميلاد!

تهزّ القارىءَ هذه الصورُ، هزّاً عجيباً، لأنها تطلعه على قصة وجوده، إطلاع الحسّ والبرهان!

ويدهش القارىء أن يعود إلى بدايته المتواضعة، حيث لا يكاد يكون شيئاً، فإذا من اللاشيئية يخرج سمعٌ وبصرٌ وحسٌّ وفكرٌ، وأهمّ من ذلك صورٌ معنوية مخبوءة في طيّات الغيب!

أين العقل؟ أين العواطف والمشاعر والمدارك؟ أين الذاكرة المذهلة، والخيال الطواف، والحماسة الجارفة، والركود المسترسل في النسيان؟!

كل شيء تقرؤه، في هذا الكتاب، يُلقي بك في بانوراما من الأفكار والعجب، من قدرة الله الواحد القهار!

كل شيء يؤكد لك عبث اللاهين عن ربهم، الغافلين عن أولهم وآخرهم!

* * *

وأخيراً . .

فإني أسأل الله تعالى أن ييسر لهذا الكتاب الرائع من يدرك قدره، من مقـرري كتب القـراءة الإضـافية، في المدارس والمعاهد . .

والله ولي التوفيق .

عمان في ٨ رجب ١٤١٣هـ

١ / ١ / ١٩٩٣م

obeikandl.com